صناعة الخزف والزجاج في بلاد الشام

منذ القرن الأول حتى نهاية القرن الثالث الهجري

إعداد

د/نعيمة برعي رمضان عبد الغار

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الآداب جامعة أسوان

الملخص :

ازدهرت الصناعة ازدهارًا كبيرًا في كافة بلاد الشام؛ بسبب وفرة مواردها ومن أهم الصناعات: صناعة الزجاج والخزف التي انتشرت في مدن الشام؛ حيث يوجد بها أنواع مختلفة من الخزف، ومن الصناعات الخزفية التي عرفها المسلمون: الأباريق، والمقابض المنقوشة، كما راجت الصناعات الزجاجية المزخرفة بالنقوش: كالأواني الزجاجية، والكؤوس، والقوارير، والأكواب، والحلى، والنوافذ، والفسيفساء، والمصابيح المسماة بالمشكاة التي تشبه الزهريات، وظهر أثر الصين في الصناعات الزجاجية والخزفية في دولة الإسلام في الألوان، والأشكال، والزخرفة، والنقوش، بينما تقدم المسلمون في صناعة الزجاج والخزف تقدمًا عظيمًا، فأنتجوا أواني مُذهبة على درجة كبيرة من الإتقان، ومن هنا جاء موضوع البحث بعنوان صناعة الزجاج والخزف في بلاد الشام منذ القرن الأول حتى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

وقد احتوى البحث على العناصر التالية:

صناعة الخزف وأنواعه مثل: الخزف المزجج، وذو الزخارف البارزة، وذو البريق المعدني، وطرق صناعته، ثم صناعة الزجاج، وأنواعه، وطرق صـــناعته، وزخرفة الفسيفساء.

وقد أنهيت البحث بخاتمة شملت أهم النتائج التي توصلت إليها، ثـــم قائمـــة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

الكلمات المفتاحية : بلاد الشام – صناعة – الخزف – الزجاج.

Summary

Industry flourished greatly in all the Levant countries due to the abundance of its resources. Among the most important industries are the glass and porcelain industries, which spread in the cities of the Levant, including Samarra, where there are different types of porcelain.

Among the ceramic industries known to Muslims were engraved jugs and handles. Glass industries decorated with engravings were also popular, such as glass vessels, cups, flasks, mugs, ornaments, windows, mosaics, and lamps called "mishkat" that resemble vases

The influence of China on the glass and ceramic industries in the Islamic state appeared in the colors, shapes, decorations and engravings, while the Muslims made great progress in the glass and ceramic industry, producing gilded vessels with a high

The ceramics industry and its types, such as glazed ceramics, those with raised decorations, and those with metallic luster, and methods of manufacturing them, then the glass industry and its types, methods of manufacturing it, and mosaic decoration.

The study ended with a conclusion that included the most important findings of the study, then a list of the most important sources and references on which the study relied.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد...

يقدم هذا البحث صناعة الخزف والزجاج في بلاد الشام من القرن الأول حتى القرن الثالث الهجري.

اشتهر أهل الشام بمصنوعاتهم الخزفية والزجاجية، وجاء الإسلام وحَرَّمَ على المسلمين استعمال الذهب والفضة في صناعة الأواني؛ لذا استخدموا الخزف والزجاج في صناعة الأواني، حيث ظهر الكثير منها بصورةٍ جميلة، وأضافوا عليها البريق المعدني، ليكسبها شكلًا جميلًا يفوق ما صُنع من الذهب أو الفضة، واستفاد المسلمون من خلال علاقاتهم بالصين في إدخال أنواع جديدة من الخزف، وأشرت لأهم مراكز صناعة الخزف والزجاج، والطرق المستخدمة في صناعة وزخرفة الأواني، والأطباق الزجاجية الخزفية باستعمال الختم، والمنقاش، والخيوط البارزة.

واستخدم المسلمون الفسيفساء في تزيين عمائرهم، سواء المساجد، أو القصور، أو المنازل، أو الحمامات، وقد استخدم في مسجد قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، والمسجد الأموي بعض منها، وظهرت فيها براعة الفنان المسلم باستعماله للكثير من الزخارف النباتية، والهندسية، والخط العربي، وكتابة بعض من الآيات القرآنية في زخرفتها، ووضحت في النهاية طريقة صناعة الفسيفساء.

ولم يقف اهتمام المسلمين بالعمارة عند المسجد، بل امتد إلى كل ما أنشأه المسلمون من قصورٍ، أو حماماتٍ، أو منازلٍ، أو مستشفياتٍ، وما استعملوه من زخارف، ومواد البناء التي توفرت في بلاد الشام مثل: الأحجار، والجرانيت، والرخام، والفسيفساء بالإضافة إلى العمال المهرة .

وقد احتوى البحث على العناصر التالية:

صناعة الخزف وأنواعه مثل: الخزف المزجج، وذو الزخارف البارزة، وذو البريق المعدني، وطرق صناعته، ثم صناعة الزجاج، وأنواعه، وطرق صناعته، وزخرفة الفسيفساء .

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

أولًا- الموقع الجغرافي لبلاد الشام:

بلاد الشام قاعدتها مدينة دمشق، وسُميت شامًا؛ لشامات هناك حمر وسود ، وقيل: إنها سميت شامًا؛ لأن أول من نزلها سام بن نوح فعرفت شام بالأعجمية، والشام بلاد كثيرة، وكور عظيمة وممالك [١]، ويُقال: إنما سُميت شامًا؛ لأنها شامة الكعبة، أو من تشاؤم الناس إليها [٢]، وذكر العمري أن الشام مأخوذة من اليد الشؤمى وهي اليسرى، ويجوز ان يكون فعلى من الشؤم ويقال: أعرق دخل العراق، وأشأم أتى الشام، وقِيل: سُميت الشام؛ لأنها شمال الكعبة [٣]. وقيل: شام؛ لكثرة قُراها، ولقرب بعضها من بعض فشبهت بالشامات، وتمتد حدود بلاد الشام من الفرات إلى العريش، وحدودها من الجنوب: وادي القرى، ومن الغرب: عسقلان ، ومن أهم مدنها: دمشق، وحماة، وحمص، وحلب، وبيت المقدس، وفي الساحل: أنطاكية، وطرابلس، وعكا، وصور وعسقلان، وهى خمسة أجناد (ولايات) دمشق، وقنسرين، وفلسطين، وحمص، والأردن[٤].

وقامت بلاد الشام بتصدير الكثير مما اشتهرت بصناعته، وقام الخلفاء بدور كبيرٍ في الإشراف على الصناعة، والاهتمام بها، وتقديم المساعدات للحصول على أجودِ أنواع المصنوعات.

---

(١) الحميري : (محمد بن عبدالمنعم الصنهاجى الحميرى ت ٨٦٦ ه) : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ م.، ص٣٣٥ .

(٢) المقدسي (محمد بن احمد بن ابى بكر المقدسى ت ٣٨٠ ه/٩٩٠ م) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ،ط٢ ، مطبعة ليدن ، ١٩٠٦ م ، ص١٥٢ .

(٣) وقد تعنى اتجاه الشمال مصداقًا لقوله: "وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ"، أي: أصحاب الشمال. سورة الواقعة: آية ٩ . العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ممالك الشرق الإسلامى والترك ومصر والشام والحجاز ، تحقيق كامل سلمان الجبورى ،ج٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٧١ م .، ج٣ ، ص٣٤٨ .

(٤) ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):معجم البلدان، مج٥، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م.، مج٥ ، ص٢١٨ ،٢١٩ . المقدسي: المصدر السّابق، ص١٥٤؛ ملحق رقم (١).

صناعة الخزف والزجاج

أولًا- صناعـــــة الخـــــزف:

تُعد صناعة الخزف من أهم الفنون التطبيقية الإسلامية، وترجع قيمته الأثرية إلى كثرة مخلفاته، والاعتماد عليه في ترتيب مراحل التطور الحضاري والفني فـــي تاريخ الطبقات في الحفر الأثري. وهي من الصناعات القديمة التي لبـــت حاجـــات الإنسان اليومية، ومدينة صور من مراكز إنتاج الفخار، وصـــنعت القـــدور والقلـــل والخوابي(١)، والأجانات(٢)، والدوارق وأصاصي الزهور، وبلغ الفن الزخرفي روعة وجمالًا استعمل في البلاطات الزخرفية لتغليف الجدران المنزلية ودور العبادة (٣) .

لقد تقدمت صناعة الخزف في العصور الإسلامية الأولى تقدمًا كبيـــرًا؛ حيـــث كانت الأقاليم الإسلامية من الصين شرقًا حتى المغرب والأندلس غربًا على اتصـــال ببعضها البعض، مما أدى إلى سهولة الحركة، والتنقل فيما بينها، وأتاح ذلك لحكـــام المسلمين نقل الفنانين والصنّاع من إقليم لآخر، كما استقدموا إلى مقر حكمهم بعضًا ممن امتدت شهرتهم من سائر الأقاليم الإسلامية، وكان لهذا أكبر الأثر في التقـــارب

---

(١) الخوابي: جمع خابية، وهي الجرة الضخمة، أو وعاء الخمر منها. والخابية: الحُبُّ الفيروز آبادي (مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـــ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨ ، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢٦ هـــ / ٢٠٠٥ م ، ص٣٩ . فواز زحلف الديلمي: الصناعة والحرف في بلاد الشام، مجلة جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع٤٣ ، ٢٠١٢ م، ص ١٨٢ .

(٢) الأجانات: جمع أجانة، وهي: أواني تصنع من المعدن، أو الحجارة، يغسل فيها الثياب، والجمع: أجاجين. المطرزي (أبي الفتح ناصر الدين المطرزي ت ٥٣٨ هـــــ / ٦١٠ م): المغرب في ترتيب المعرب ، ج١ ، تحقيق: محمود فاخوري، عبدالحميد مختار، سوريا، مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩ م، ص٣١. فواز زحلف: المرجع السابق، ص١٨٢ .

(٣) فواز زحلف جزاع الديلمي: الصناعة والحرف في بلاد الشام، مجلة جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع٤٣ ، ٢٠١٢ م .ص١٧٥ .

بين الطرز المختلفة في الفنون الإسلامية وتأثير بعضها على بعض[١]، وظهر أثر ذلك في الألوان، والأشكال، والزخرفة، والنقوش مثل: (النباتات والزهور والطيور والإنسان)، وعليها زخارف بيضاء وزرقاء[٢] .

احتلت صناعة الخزف الصدارة بين الصناعات الأخرى في العصور الإسلامية، لم يكن ذلك بسبب القيمة المادية لهذه الأواني الخزفية لتواجد الأواني المصنوعة من الذهب والفضة؛ وإنما لكره رجال الدين في استعمالها، ولتطور الحياة الإجتماعية التي تطلبت زيادة الحاجة إلى أنواع متعددة، ومتميزة من الخزف[٣]، كما أدى تحسن الأوضاع السياسية إلى سهولة تنقل الصنّاع والحرفيين للعمل بتلك الأقاليم[٤] مثل: بلاد الشام ومصر، وبفضل خضوع هذه الأقطار لحكمٍ واحدٍ حدث تبادل في الخبرات المتعلقة بهذه الصناعة، وبذلك أخذت صناعة الخزف في الإزدهار تحت الحُكم الإسلامي قبل التدهور[٥].

تمر صناعة الخزف بأربع مراحل وهي: إعداد الطينة (العجينة)- تشكيل العجينة – التجفيف أو الحرق وأخيرًا طلاء الأواني وزخرفتها[٦] .

---

(١) عبدالخالق علي عبدالخالق الشيخة : دور الخزافين في نقل الأساليب الفنية في مجال الخزف بين الأقاليم الإسلامية من العصر العباسي وحتى عصر الأسرة العلوية في مصر (١٣٢ -١٣٧١ هـ / ٧٥٠ -١٩٥٢ م) مجلة مركز الدراسات البردية(BCPS)، كلية الآثار، جامعة عين شمس، مج٤٠، ٢٠٢٣ م ، ص٣٨١ .

(٢) عصام الدين عبدالرءوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧ ه / ١٩٩٧ م، ص٤٤٦ .

(٣) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٦ م .
، ص١٢ .

(٤) عبدالخالق على عبدالخالق الشيخة: المرجع السّابق، ص٣٨٤،٣٨٣،٣٨١.

(٥) حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ١، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩ م، ص١٠٨.

(٦) سعاد ماهر: المرجع السّابق، ص١٤: ١٥ .

انتشرت أساليب صناعة الخزف في شتى أنحاء العالم الإسلامي؛ حيث وُجد كثير من الأساليب الفنية المشتركة بين الأقاليم، ويعتمد ذلك على الأساليب الفنية في تاريخ القطع الفنية، ونسبتها إلى موطنها الأصلي. ولم يكتفِ المسلمون بمنتجاتهم الخزفية، بل جلبوا غيرها من الشرق والغرب، وحوض البحر المتوسط (١).

كما قاموا بتطوير الصناعة، وابتكار أساليب جديدة لم تكن معروفة سواء في صناعة الخزف أو زخرفته (٢).

ومن أنواع الخزف في العهد العباسي:

١- الخزف ذو الزخارف المرسومة تحت الطلاء:

يمتاز هذا النوع من الخزف بأنه مطلي بطبقة من البطانة ذات اللون الفاتح، ثم تأتي الزخارف ذات اللون الواحد في القرنين الأول والثاني، تميزت الزخارف بالعناصر النباتية ذات اللون الواحد من الطبيعة، بينما اقتصرت الزخرفة على العنصر الكتابي المرسوم بأسلوب زخرفي جميل في القرن الثالث الهجري (٣).

٢- الخزف المزجج:

سُمي بذلك؛ لإستخدام التزجيج الأبيض في أرضية الآنية، واللون الأزرق للزخارف النباتية والهندسية، ومن المدن التي أشتهرت بالخزف الأزرق والأبيض(٤).

ولقد أشتهرت بلاد الشام بصناعة الخزف خاصة سوريا في القرن السابع الميلادي، وتتماشى صناعة الخزف مع فكرة الإسلام في تحريم استعمال الأواني الذهبية والفضية؛ لذا أقبل عليها المسلمون إقبالًا عظيمًا، ووصل إنتاجهم في فخامته أن يكون بدلًا من الذهب والفضة باستعمالهم البريق المعدني(٥).

---

(١) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨ م، ص٢٥٨.

(٢) حسن الباشا : المرجع السّابق، مج١ ، ص١٠٨؛ عصام الدين عبدالرءوف الفقي: المرجع السّابق ، ص٤٤٥ .

(٣) سعاد ماهر: المرجع السّابق ، ج١ ، ص٢٥ .

(٤) عبدالخالق الشيخة: المرجع السّابق ، ص٣٨٥ .

(٥) أبوصالح الألفي: الفن الإسلامي أصوله- فلسفته- مدارسه، دار المعارف، ١٩٩٨ م .، ص٢٦٢.

واستعمل المسلمون أسلوب الطلاء بالزجاج، والزخرفة، والصقل، ولكنه لم يحل محل الأنواع القديمة من الفخار، ولكنهم أضافوا أصنافاً جديدة، وهناك فرق بين الخزف والفخار؛ حيث إن الخزف طينه أكثر نقاء وصلابة من الفخار، ويطلى عادة بمادة زجاجية، ويستخدم في صناعة الأواني، وكراسي العشاء، والأحواض، والتماثيل، والشمعدانات، والفسيفساء الخزفية(١)، والسلادون: هو تقليد للبورسلين فيصنع منه عجائن مختلفة من الخزف، وهذه العجائن أكثر صلابة وتماسكًا من الخزف، يعمل منه الأواني والصحون، ويتم تزيينها بطبقة رقيقة من الزخارف النباتية، والأغصان المزهرة(٢).

واستخدم المسلمون الخزف الملون المطلي بدلًا من الفسيفساء؛ لما يتطلبه صنع الفسيفساء من زمن طويل، ومصاعب أشد مما يتطلب الخزف، واستطاع المسلمون أن يقتبسوا من الأمم الأخرى طُرُق صُنع الخزف، وأبتكروا قطعًا رائعةً متقنة لم يسبقهم إليها أحد، وكان لهم مصانع شهيرة تبيع مصنوعاتها في جميع أنحاء العالَم الإسلامي(٣).

وفي منطقة الأردن صنعت مصابيح على شكل طائر، أو حيوان، أو ذات مسقط مثلث الشكل، أو دائرة إلى أن وصل الخزف إلى الشكل المعروف في العصور الهلينية والبيزنطية، واستمر إنتاج المصابيح بنفس التصميمات مع تغير مستمر في الزخارف، وصنعت الصحون المتسعة العميقة، وقليلة العمق ذات الجدران السميكة والرقيقة. ولكن اختلفت زخارف الخزف الإسلامي مع استمرار استعمال الأساليب الزخرفية البيزنطية في العصور الإسلامية الأولى، ولم تتغير إلا من حيث وجود الكتابات العربية عليها(٤).

---

(١) حسن الباشا: المرجع السّابق.ص١٠٩.

(٢) م. س ديماند: ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ص٢١٢ .

(٣) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٣ م ،ص٥٣٦.

(٤) محمود إبراهيم حسين: الخزف الإسلامي في الأردن، دار الثقافة العربية، ١٩٨٨م ، ص٧٧.

وكان هناك تشابهٌ بين مصر والأردن في تصميمات الأواني، ويعود هذا لمناسبة كل إناء مع وظيفته التي تتحكم في شكله، فوُجِدَت أنواعًا من الجرار، والأطباق الصغيرة المنتجة في الأردن أكثر تنوعًا، وازدهرت في سوريا صناعة الخزف الأسود ذي البريق المعدني، ثم حل محله نوع من الخزف الأحمر، وصنعت منه الزهريات التي كانت من مستلزمات البيوت(١) .

ويشترك أكثر من عامل في صنع الخزف: كالعجان والخزاف الذي يقوم بالتشكيل، والعامل الذي يتولى الحرق، والدَّهان، والرَسَّام، وقد يشترك في الطلاء عددٌ من الزخرفيين كل واحد يصنع نوع من الطلاء لينقله لمن يليه فيضيف إليه بدوره. واشتهرت دمشق والرقة بصناعة الخزف الذي يحمل الكثير من توقيعات صُنَّاعِه(٢).

وأتقن المسلمون اختيار الألوان، وفَضَّلت بعض الأقاليم اللون الأبيض، والأرزق الزرنيخي، والأخضر الفيروزي، والأحمر البنفسجي(٣)، وفي العصر الأموي كان اللون البرتقالي أكثر استعمالًا، وعثر عليه في تل حسبان، والكرك، وخربة المفجر(٤).

وفي قصور الأمويين، وحمام الصرح أخرجت الحفائر الكثير من الفخار الأموي، وجزء كبير منه مصنوع على الدولاب، والباقي يدوي مثل: الجرار، والأحواض، وقد صنع معظمه من الطين الخالي من الشوائب، والأواني الأموية محروقة جيدًا ناعمة الملمس جميلة الشكل، إلا أن الكثير من القطع الفخارية الأموية سميكة الجدران قياسًا بالفخار البيزنطي(٥).

---

(١) عصام الدين عبدالرؤف: المرجع السّابق، ص٤٤٦، ٤٤٧ .

(٢) حسن الباشا: المرجع السّابق ، ص١٠٩، ١١٠.

(٣) زكي محمد حسن: المرجع السّابق ، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) محمود إبراهيم حسن: المرجع السّابق ، ص٦٦، ٦٧.

(٥) محمود إبراهيم حسن: المرجع السّابق ، ص٦٦.

والمراكز البيزنطية في بلاد الشام هي التي اشتهرت بصناعة الخزف، وازدهرت في العصر الأموي، وانتشرت بجوار الأنهار بما لديها من إمداداتٍ لا حدود لها من الصلصال، والرمال، والمياه، وهي المواد الأساسية في صناعة الخزف– حيث يقوم الصناع بتجفيفها، وتنقيتها، وتشكل باليد، أو تدور على عجلة الصانع حول نفسها حتى تصل للشكل المطلوب، وتترك في الفرن لتجف(١).

وفي العصر العباسي استعملت طريقة الدولاب مع وجود قطع صنعت يدويًا، وبذل الصناع في العصر العباسي جهد كبير في تنقية الطين من الشوائب، ولكن معظمه يحتوي على مواد معدنية واضحة، ويتميز برقة الجدران، ونعومة الملمس، وكثرة استعمال الدهان عن العصر الأموي، وعرفت أنواع من الخزف ذات لون واحد مثل: الأخضر، والأصفر، والأرجواني، وظهرت مجموعة من الألوان التقليدية مثل: الخزف المضلع، وكان الصناع غاية في المهارة الصناعية في فنونهم (٢).

أما أفران الحرق فيوضع الخزف في حجرة الحرق، وهي متصلةٌ ببيت النار، ويسبب الجو الحار درجات لونية رائعة في الخزف، وأحيانًا تكون هذه الحجرة مغلقة تمامًا تشع إليه الحرارة، وهذه الأفران متعددة الأشكال، ويستخدم الحلفا وقش الأرز كوقود؛ لأنه يعطي لهب طويل العمر، ويكسب الإناء طلاء له شكل معدني. ورص القطع في الفرن مهم، حتى لا يلتصق إناءٌ بآخر(٣).

وقد عُثر على أفران عند أبواب مدينة دمشق تؤكد صناعة الخزف في دمشق منذ أقدم العصور(٤)، واستعملت الكتابة على الأطباق، وأعطى الخط العربي جاذبية في زخرفة مساحات واسعة(٥)، ولقد ذاعت في العالَم الإسلامي أساليب أخرى مثل: حفر الرسوم على القطع الخزفية، وتشكيل الزخارف البارزة تشكيل دقيق، أو تخريم جدران الأواني لتغطيتها بالطلاء فتبدو شفافة (٦).

---

(1) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, PP. 101. F.

(٢) نوره عبدالرحمن عيسى ،عصام عبدالهادى عقلة: الصناعة في بلاد الشام من خلال كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى (٧٤٩ ه/ ١٣٤٨)، مجلة المؤرخ المصرى ، عدد يوليو ٢٠٢٣ م ، العدد الثالث والستون ، ص٢٩٧ .

(٣) محمود ابراهيم حسن: المرجع السّابق، ص٨٠، ٨١.

(٤) ثريا حافظ عرفه: الحياة الإقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموى، دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٩ م ، ص٢١٧ .

(5)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, P. 109.

(٦) أبوصالح الألفى: المرجع السّابق ، ص٢٦٢، ٢٦٣.

وكانت النقوش المستعملة على الخزف في العصر العباسي غنية بالألوان، واستعملت رسوم الحيوانات بحرية، وتلقائية متأثرة بالعصر الهلينستي(١).

واتبع في الزخرفة الأساليب المتبعة قبل الإسلام في سوريا(٢)، وكان للعباسيين تأثيرًا عميقًا على تطور صناعة الخزف، ويتمثل في مجموعة الأطباق المستوردة من أسرة تانج بالصين مهداة للخليفة هارون الرشيد سنة (١٨٤هـ- ٨٠٠ م)، والأوعية الخزفية التي استعملت في حمل وتخزين المياه في المنازل والمساجد على الرغم من رخصها، وبساطتها حصلت على بعض النقوش، أو إضافة الطين اللين إلى السطح غير المحترق(٣)، وتصنع الأوعية الخزفية مسامية بالنسبة لتبريد المياه، ولكن بالنسبة للسوائل الأخرى كالزيوت التي تتعفن بسبب التعرض الدائم للهواء، يطلى الخزف بخليط من الملح القلوي والكوارتز، وتصنع إما معتمة، أو ملونة بالقصدير(٤).

٣- الخزف ذو البريق المعدني:

أدرك الخزافون أنه ليس من اليسير على الأغنياء الاستغناء عن الأواني المصنوعة من الذهب والفضة لتحريم فقهاء الدين لهذه الأوانى، سواء منها ما كان يستعمل في الأكل، أو في الشرب، أو الطهارة، لذلك ابتكروا طريقة صناعية تعطي المادة الخام التي يصنع منها الخزف بريق الذهب(٥) باستعمال صبغات معدنية في إنتاج الرسوم اللامعة، وكان يستعمل فيها خليط من القصدير والفضة أو الذهب، وكان الإناء يرسم بالصبغات المعدنية بعد الحرق، والألوان المستعملة الأرزق، البنى، الذهبى الزيتي، أخضر خفيف، أحمر، يمكن الحصول على ألوان متعددة من الأكاسيد المختلفة(٦).

---

(١) سعاد ماهر : المرجع السّابق ، ص٢٥ .

(٢) أبوصالح الألفى: المرجع السّابق ، ص٦٤، ٦٥.

(4) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic, Art's. 104.

(5) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Op Cti, P. 104. F.

(٥) محمد عبدالعزيز مرزوق: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٥ م، ص١٣٠ .

(٦) سعاد ماهر: المرجع السّابق ، ص١٦ -١٧ .

وانتشر الخزف ذو البريق المعدني في كافة أنحاء العالم الإسلامي، وصنع منه الخزافون المسلمون الأواني المختلفة مثل: صحن به تقليد للبورسلين الصيني، وزينوه بالكتابة وبالزخرفة النباتية، وإناء من الخزف ذى البريق المعدني عليه صورة فارس، وبلاطة نجمية الشكل [١]. ومن أهم مراكز صناعة الخزف في بلاد الشام: تل جرش، أم جمال، قويليه، أم قيس، شرحبيل، مادبا، قلعة عمان، حسبان، والخزف المطلي بالميناء يصنع في دمشق[٢]، وفي سوريا بصفةٍ عامة[٣]، والخليل[٤]، وفي الأردن في بيت رأس، وعمان، والمناطق الجبلية، والأغوار، والمناطق المحيطة بوادي الأردن، والشونة الجنوبية، والصحراء المتاخمة لبلاد الشام، لوجود القصور الأموية والاستيطان بها لأسباب عسكرية واقتصادية، وشهدت الفترة العباسية تنوع في مناطق الاستيطان فتركت المناطق الأموية، وبدأ ازدهار وسط وجنوب الأردن، ولكن عدد السكان كان أقل بكثيرٍ في العصر العباسي[٥].

(١) محمد عبدالعزيز مرزوق: المرجع السّابق ، ص ١٣٠ ،١٣١.
(٢) غوستاف لوبون: المرجع السّابق ، ص٥١٧، ٥١٨.
(٣) عبدالحميد العبادي، مصطفي زيادة، إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، ص٣٩.
(٤) عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، أوراق شرقية، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص٢١٥.
(٥) محمود إبراهيم حسن: المرجع السّابق ، ص٨٧.

ثانيًا- صنـــــــــاعة الزجاج:

تعتبر صناعة الزجاج من الصناعات المهمة التي أُكتشفت منذ القــدم، وقــد استخدمت لعدة أغراض تعددت بتعدد احتياجات الإنسان لها، وقد ورد ذكر الزجــاج في القرآن الكريم في قوله تعالى: " الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ" (١).

برعت بلاد الشام في صناعة الزجاج (٢) في مدن متعددة منها مراكز انتاجه: صور والرقة، وعرف زجاجها بالفينيقي، وضرب به المثل " أرق من زجاج الشام، وأصفى من زجاج الشام"، وصنع زجاجها منها الرمل الموجود فيها، ومن صــفاته: القوة واللمعان، كما يصنع فيها تحف مذهبة، ومطعمة بالمينا، تعود إلى مدينة الرقة، والفسيفساء الزجاجية في قبة الصخرة، والمسجد الأموي في غايــة الروعــة، وتــم العثور على أوانٍ زجاجية " قوارير وكوؤس، تعود إلى القــرن الثالــث الهجــري، وألوانها زرقاء أو خضراء، بعضها براق وشفاف، والآخر عاتم اللون، وفي المسجد الأموي الزجاج من رملها(رمل أبيض)، وأشار القزويني (٣) إلى تــزيين المســجد الجامع بدمشق بالزجاج المُذهب المحفور يحمل كتابة الآيات الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم " أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" (٤).

---

(١) سورة النور: اية ٣٥ .

(٢) زينب طاهر ساق الله: في الإنصاف بين المشرق والمغرب قطعة من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (٧٠٠- ٧٤٩ ه /١١٣٠- ١٣٤٩ م)، ماجستير، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٨٦ م ، ص١٦ .

(٣) القزويني(زكريا بن محمد بن محمود القزويني ت ٦٨٢ ه /١٢٨٣ م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (بدون) ،ص١٩٠ .

(٤) سورة التكاثر

اختصت بلاد الشام بصنع الزجاج خاصة في صيدا وصور، فعُرف زجاجهما برقته وصفائه[١]،وكان الزجاج المخطط منه والمطلي بالميناء مثالًا اتخذه الأوربيون لصنع الزجاج الملون الذي استعملوه لتزيين كاتدرائياتهم، وكثر الطلب في العصر العباسي على الآنية الزجاجية، والمزهريات المعدنية من مصنوعات الشام، وأصبحت من لوازم المنزل، ومن متممات الرفاهية، وكانت منائر الزجاج تعلق في المساجد، والقصور، وعليها كتابات بالميناء من مختلف الألوان [٢].

وأجمل ما صنعه الزجاجون السوريون قناديل المساجد، وهي مصابيح تغطي السراج أو وعاءه ، وللمصباح مقابض عديدة تعلق منها في سلاسل تشد إلى سقف المسجد، وقد زينت بألوان زاهية، وزخارف نباتية وهندسية وأحياناً كتابية [٣] .

عُرِفَت صناعة الزجاج قبل ظهور الإسلام، ثم تقدمت على يد المسلمين، والدليل على ذلك الأواني المذهبة والمطلية بالميناء، والمصابيح في المساجد، ولقد اكتسب المسلمون خبرة من أهالي البندقية، وموارنو[٤]، ولقد راجت صناعة الزجاج في بلاد الشام بصفة خاصة، وأنتجت الزجاج المنقوش بالذهب، وكان في غاية الإتقان، وكثر إنتاج الزجاج الملون بالميناء؛ حيث يصدر لجهات كثيرة، وصنعت القناديل الموشاه بألوان براقة، ومغطاة بألوان الطيف، أو البلاتين المعدني ذي الألوان المتغيرة كقوس قزح[٥].

---

(١) أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي دراسة سياسية، اجتماعية، إقتصادية، فكرية، عسكرية، دار دمشق، ط٣ ، ١٩٩٤ م ، ص٣٧٠ .

(٢) فيليب حتى وآخرون : المرجع السّابق، ص٤٢٥ .

(٣) فواز زحلف جزاع الديلمي: المرجع السّابق، ص١٧٥ .

(٤) غوستاف لوبون: المرجع السّابق، ص535.

(٥) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، دار الشركة العالمية للكتاب، الكتاب العالمي، بيروت ، ١٩٨٩ م ، ص٢٤٢.

وصُنعت بعض التماثيل على شكل حيوانات تحمل الأشياء على ظهور الدواب (الجمال)، وتسمى القنية، ونظرًا لسهولة كسر الزجاج كان من النادر الحصول على أي من القطع الزجاجية، كان في الكنائس الأمينة (يؤمن فيها على التحف الثمينة والمجوهرات)؛ لذا القطع يمكن أن تؤرخ حسب الأسلوب الذى صُنعت به[١].

وأهتم المسلمون بصناعة الزجاج؛ لحاجتهم للأواني الزجاجية؛ لاستخدامها في حفظ العطور، وصناعة العقاقير، والشراب، والإضاءة، وترجع بعض النظريات الموطن الأول لصناعة الزجاج لشمال سوريا[٢]؛ بسبب وجود الخامات الضرورية لصناعته، حتى أصبح يضرب المثل بالزجاج السوري لرقته وصفائه. واتخذ صناع الزجاج طرازًا خاصًا بهم في زخرفة الزجاج وخاصة الزجاج المطلي بالميناء، كما صنعوا الأكواب والأباريق من البلُور(الكريستال) الصافي الأبيض الملون[٣]، وبرع صناع الزجاج في الأواني الزجاجية مثل: الكؤوس، والقوارير، والأكواب، وكذلك صنج العملة، والحلي، والنوافذ، وفصوص الفسيفساء، والمصابيح المسماة بالمشكاة التي تشبه الزهريات وتزخرف بالمينا الحمراء والخضراء والبيضاء [٤].

لقد عُرفت دمشق في معظم عصورها بأنها مدينة صناعية، ويرجع ذلك إلى وفرة المواد الأولية المستخرجة من أرضها، فمن تربتها تعمل زجاجها وآنيتها [٥]، ومما ساعد على تقدمها وجود المواد الخام الضرورية على ضفاف الأنهار مثل: الصلصال، وحجر الرمال، والمياه[٦]، وكانت دمشق منذ بداية القرن الثاني الهجري /

---

1) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, P. 120.

(٢) علي أحمد الطايش: المرجع السّابق، ص٤٥، ٤٦.

(٣) عصام الدين عبد الرءوف الفقي: المرجع السّابق ، ص٤٤٦ .

(٤) المرجع السّابق، ص٤٤٦ .

(٥) محمد كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٣ م ، ص٧١ ؛ عصام الدين عبدالرؤف: الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٥٠.

(6)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, P. 101. ؛ حجر الرمل يصنع منه الزجاج عن طريق إيقاد النار عليه لعدة أيام حتى يتجمع، ويزداد صلابة نوره . عبدالرحمن عيسى الدرمكي، عصام عبدالهادي عقلة : المرجع السّابق ، ص٢٩٤ .

الثامن الميلادي تصدر الزجاج إلى الأقطار المجاورة [١]، وكان يضرب المثل بصفاء ونقاء الزجاج الدمشقي[٢]؛ حيث يتخذ للزينة والزخرفة، ومنه الأكـــواب، والكيـــزان، والأباريق، وكانت معامل صناعته ممتدة على طول الجامع الأموي[٣].

اتخذ الخليفة المعتصم مصانع الزجاج في جميع البلدان الإسلامية، وكان لها أسواق متخصصة لكل حرفة[٤]، ومن أهم مراكز صناعة الزجاج: الرقة[٥]، واختص أهل صيدا بصناعة التحف الزجاجية الشفافة، والملونة، والقاتم الذي يشبه الخزف ويسمح بنفاذ الضوء، والزجاج الذي لا يسمح بنفاذ الضوء[٦] في صور[٧]، وفي الخليل[٨]، والزجاج المذهب بدمشق[٩]، وفي فلسطين نبات حشيش الزجاج الذي يُغسل به الزجاج فينقيه ويزيل منه الأوساخ [١٠].

---

(١) عصام الدين عبدالرؤف: الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٥١.

(٢) الثعالبي: (زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلى الدمشقي ٧٣٦ –٧٩٥ هـــ) : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، تحقيق: عامر بن على ياسين ، دار بن خزيمة، الرياض، ١٤٢٨ ه /٢٠٠٧ م ، ص ١٥٧.

(٣) محمد كرد علي: المرجع السّابق ، ص١٢٧.

(٤) حسن إبراهيم حسن: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ١، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩ م .، ج٢، ص٣٠٣، ٣٠٤.

(٥) محمد فتحي الشاعر:المرجع السّابق ، ص١١٥.

(٦) عبدالعزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ١٩٧٠ م،(بدون)، ص٤٦.

(٧) الإدريسي: (عاش خلال القرن السادس الهجري): أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، القاهرة، ١٤١٤هـــ /١٩٩٤م،ص٣٦٥.

(٨) عبدالحكيم العفيفي: المرجع السّابق ، ص٢١٥.

(٩) العمري: المصدر السّابق ،ج٣ ، ص٣٥٧ .

(١٠) حشيشة الزجاج : تعرف أيضًا بعشبة بالبرطال، ومنها ٣ أصناف: (غالا– آذان الفأر – الرفايد)، وذُكر أنه يشبه نبات الفوة الجبلية، أو تشبه نبات القسيني من حيث الأوراق. أبو الخير الأشبيلي (القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي): عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق: محمد العربي الخطابي، ج١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥ م ، ص١٩٣ .

عرف صناع الزجاج في حلب بالاتقان والمهارة في التصنيع بأشكال متنوعة، ومختلفة غاية في الدقة والرقي، لذلك حرص التجار على إقتناء الزجاج من حلب، ولقد استخدم أهل حلب الأواني من الزجاج المذهب لتقديم أشهى الأطعمة، كما كانت توجد في حلب أماكن مخصصة لصناع الزجاج عرفت بالزجاجية أو الزجاجين (١).

ولقد حظى الزجاج في العصر العباسي بتطور صناعي وزخرفي كبير؛ نتيجة إقبال الخلفاء على إقتنائه، وخاصة الخليفة الراضي بالله والمقتفي بالله؛ حيث عمل لهم من الأواني الزجاجية ما لم يعمل لملك من قبل من حيث عددهم وتكلفتهم، كما بلغ من شغف خلفاء العباسيين أن استقدموا من كل بلد مهرة الصناع في هذه المهنة حتى إن الشعراء نظموا فيه الشعر(٢).

واتخَذَت الأواني الزجاجية أشكالًا متنوعة منها: على هيئة كروية، أو كمثرية، أو مضلع، أو مسطح، وينقسم الزجاج الإسلامي إلى عدة طرز سواء من حيث نوع الزجاج، أو الطريقة المستخدمة في الزخرفة، وأسلوبها، أو التشكيل. وصنع المسلمون المشكاوات ذات البدن المنتفخ الذي ينساب إلى أسفل، وينتهي بقاعدة، ولها رقبة على هيئة قمع متسع، ومن ألوانها: الأخضر، والأحمر، والأبيض، وصنع المسلمون القوارير، والسلاطين، والتماثيل، والحلى، صنج العملة، والكؤوس، والقنينات(٣).

---

(١) الغزي (كامل بن حسين بن مصطفي الحلبي) : نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، ١٣٤٥ ه /١٩٢٦ م ، ص١٣ .

(٢) ومن الشعراء قول ابن تميم: ياحسنه قدح يضئ زجاجه ... ليل الهموم إذا ادلهم وسعا
اهدبته مثل النهار فان خوى ... صرف المدام غدا نهارا أشمسا سعاد ماهر محمد: الفنون الإسلامية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص١٥٩ .

(٣) حسن الباشا: المرجع السّابق، ص١١٢.

طريقـــة صناعـــة الأواني الزجاجية:

حجر الرمل وتوقد عليه النار لعدة أيام يجتمع لكثرتها ويزداد صلابة، ويذكر أن استُخدمَت نفس الطريقة القديمة في صناعة الزجاج مـــن صـــهر الرمـــل، أكســـيد السليكون، بعد خلطه بنسبة معينة من الحجر الجيري وكربونات الكالسيوم، مع نسبةٍ من كربونات الصوديوم وأكاسيدٍ أخرى، ثم يشكل بالنفخ(١)، ويصهر في فرن خاص ذي مسقط دائري مسقوف من الطوب، مزود من أسفل بفتحة لتزويده بالوقود، تقابلها فتحة لخروج الوقود المستهلك، وأكثر من فتحة تشرف على النار يجلس أمامها أكثر من صانع لتشكيل الآنية الزجاجية، ويوجد بجانب الفرن مكان لحفظ الآنية الزجاجية حتى تفقد حرارتها بالتدريج؛ لأنها لو التقت مباشرة مع الجو العادى تتهشم(٢).

وتنقسم طرق النفخ إلى طريقتين:

طريقة النفخ في الهواء، وطريقة النفخ في القالب.

(أ) طريقة النفخ في الهواء:

وتتم بالتقاط الصانع قطعة عجينة مكورة، وينفخ من بداية الأنبـــوب فينـــدفع الهواء إلى وسط العجينة فتنتفخ جوانبها، ويعتمد تشكيلها على مهارة الصانع؛ ليتمكن من التحكم في الآنية، مستعينًا بحركاتٍ دائريةٍ في الهواء(٣).

(ب) طريقة النفخ في القالب:

تتم بالتقاط قطعة من العجينة، ويضعها في القالب المكـــون مـــن قطعتـــين، والحفر ينفخ الصانع العجينة داخل القالب، يتخذ شكل القالب، ويمكن أن يكون القالب من الخشب، أو المعدن، أو الفخار، وتكون أشكال الأواني أكثر انتظامًا من طريقـــة النفخ في الهواء(٤).

---

(1) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic, Art's, P. 102.

(٢)علي أحمد الطايش: المرجع السّابق، ص٤٦.

(٣)المرجع السابق، ص٤٦، ٤٧.

(٤) نفسه، ص٤٧.

ابتكر أهل صيدا الزجاج المنفوخ الذي يزودنا بتحف زجاجية وشفافة ملونة وغير ملونة، وكذلك الزجاج القاتم الذي يشبه الخزف، ويسمح بنفاذ الضوء، والزجاج الذي لا يخترقه الضوء، كما برعوا في صناعة الزجاج المصبوب؛ وذلك لأن طريقة النفخ لم تكن تعرف، وبعد أن عُرفت طريقة النفخ ظلت الطريقة التقليدية تسير جنبًا إلى جنب مع الطريقة الجديدة، وينسب إلى صيدا ابتكار الزجاج والمرايا الزجاجية، وكان يتم استيراد النطرون اللازم لهذه الصناعة من مصر، ومن أهم مراكز صناعة الزجاج: صور وصيدا، وابتكر أهل صيدا الزجاج المنفوخ، وكانت تُرسل لتُصهر في صيدا(١).

ويمكن التفرقة بين التحف الزجاجية في بداية الإسلام، من خلال طرق صناعة وزخرفة الزجاج، فمنها: ما هو خالي من الزخرفة، وهنا يلعب الإناء دورًا في تحديد موطنه وتاريخ صنعه(٢)، ولكن بعض الأساليب الفنية معروفة بعد الإسلام ومشتركة بين الأقاليم(٣).

وكانت أشكال الأواني وأحجامها من التنوع والكثرة ما يصعب معه حصر أنواعها، وأغلب ما وصلنا من الأواني الزجاجية من القرنين الثاني والثالث الهجري / الثامن والتاسع الميلادي خالٍ من الزخرفة، أما القليل الباقي فاتُبِعَت في زخرفته أساليبًا مختلفةً مثل: الخيوط البارزة والكتابات(٤).

(١) السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السّابق، ص٤٦، ٤٧.

(٢) علي أحمد الطايش: المرجع السّابق، ص٤٧.

(٣) زكي محمد حسن: المرجع السّابق، ص٥٨١.

(٤) ديماند: المرجع السّابق، ، ص٢٣٠، ٢٣١.

أنواع زخرفة الأواني الزجاجية:

١ – الزخرفة بالختم: بعد تشكيل الآنية يضع الصانع قطعة من الزجاج اللين، ويضغط عليها بختم معدني عليه زخارف بارزة، أو غائرة على حسب نوع الزخارف المطلوبة(١).

٢ – البريق المعدني: أكدت الحفائر الأثرية أن المسلمين استخدموا مادة البريق المعدني منذ منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتتسم هذه الأواني الزجاجية برقة الجدران(٢).

٣ – الزخرفة بالقالب: تتم بأخذ قطعةٍ من عجينة الزجاج المصهور بنهاية أنبوبٍ معدنيٍ، ويضعها داخل قالب من الفخار، أو المعدن، أو الخشب يكون مضلع، أو على هيئة خلايا النخل، ثم يُنفخ في بداية الأنبوب فيأخذ بدن الآنية الخارجي نفس شكل التضليع أو خلايا النحل(٣).

٤ – الزخرفة بالقطع: استخدمت هذه الطريقة في صنع الأدوات المنزلية.

٥ – الزخرفة بالمنقاش: حيث ينقش الصانع على بدنها بالمنقاش وهي ساخنة (٤) .

وصنع المسلمون الزجاج دقيق الحجر (البلور)، واستُخدِمَ في زخرفته أسلوب القطع على نمط ما كان متبع في زخرفة البلور الصخري، وهو نوعٌ من الأحجار الكريمة يشبه الزجاج، ولكنه أشد صلابة من الزجاج وأكثر جمالًا، ووصلتنا بعض القطع التي تعود إلى القرن الثالث الهجري، وانتشر في الكثير من أنحاء العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وهناك بعض القطع لها

(١) علي أحمد الطايش: المرجع السّابق، ، ص٢٤٧، ٢٤٨.
(٢) زكي محمد حسن: المرجع السّابق، ص٥٨٥.
(٣) علي أحمد الطايش: المرجع السابق، ص٤٨، ٤٩.
(٤) المرجع السابق، ص٤٨، ٤٩.

الطابع الطولوني[١]، كما صُنِعَت في العصر العباسي قطع الشطرنج، وتماثيل الحيوانات، وقنينات صغيرة، وطيور، وأسماك، ووريقات العنب الخماسية الفصوص، أو المراوح النخيلية[٢].

ويوجد أقراصًا زجاجية للوزن والكيل يطبع عليها؛ لبيان أحجامها، وأغلبها بأسماء الولاة والخلفاء[٣]، والبعض لوزن السكة أو العقاقير، أو الأوزان الثقيلة للجزارين والفكهانيين يلزم عامة طبع كتاباتها بعد حفرها عميقة ومقلوبة على قالب من حديد يضرب به الصنجة قبل أن تبرد حتى تظهر الكتابات على الصنجة بارزة ومستقيمة مع وصفها الصحيح، واسم الصانع، وإذا كانت مثقال دينار أو فلس أو درهم[٤]، ولقد ازدهرت صناعة الزجاج في العصر العباسي، وجذبت أفضل الفنانين في العالَم الإسلامي[٥].

الفسيفساء هي الموضوعات الزخرفية المؤلفة من أجزاء صغيرة، ومتعددة الألوان من الزجاج والحجر، وتثبت إلى جانب بعضها البعض فوق الجص أو الأسمنت، وقد تكون هذه الموضوعات هندسية أو نباتية أو كائنات حية، والأغلب أن تكون هذه الأجزاء الصغيرة مكعبات دقيقة، وعرفت هذه الطريقة منذ القدم وفي العصر البيزنطي[٦].

---

(١) حسن الباشا: المرجع السّابق، ص١١٢، ١١٣؛ عصام الدين عبدالرؤف : المرجع السّابق، ص٤٤٦ .

(٢) علي أحمد الطايش: المرجع السّابق ، ص٤٩.

(٣) أبو صالح الألفي: المرجع السّابق، ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٤)علي أحمد الطايش: المرجع السّابق، ص٥١.

(5)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic, Art's, P. 116. F.

(٦) ثريا حافظ عرفه: المرجع السّابق، ص٢١٨ ؛ غوستاف لوبون: المرجع السّابق، ص٥٣٤ .

وزخرف المسلمون الجدران طوال العصور الإسلامية بالفسيفساء، وأقدم آثارها في قبة الصخرة التي بنيت سنة (٧٢هـ /٦٩١-٦٩٢ م)، ولا نستطيع أن نتحقق من إتيان المسلمين بتعديلاتٍ مهمةٍ في صناعة الفسيفساء، والتي لم يلبثوا أن فَضَّلوا عليها صناعة الميناء في زخارفهم السهلة الإنجاز.

والفسيفساء نوعان:

النوع الأول- يكسو به وجه الأرض وأسفل الجدران قطع من المرمر والخزف المطلي الملون باختلاف المقاييس.

والنوع الثاني- يُستعمل في جدران المحاريب، وصنعه بيزنطي تمامًا، وكانت هناك تماثيل بين قطع الفسيفساء في كل من سوريا واليونان ومصر، ومن أمثلتها في المسجد الأقصى، ومساجد القاهرة، ويشتمل كل صباغ فيها على ثلاثة ألوان، وهى صالحة لإحداث نماذج النور وانعكاسه والمكعبات الحجرية ملونة في جملتها والقطع الزجاجية التي تُكون مكعبات صغيرة ، لإحداث أساس ذهبي مذهبة في وجهها فقط(١).

والفسيفساء الخزفية عبارة عن فصوص مختلفة الشكل والحجم مقطوعة من لوحات كثيرة من الخزف المطلي بالألوان يجمع بضعها إلى بعض، ويصب عليها من الخلف بمادة لاصقة فتملأ جميع التجاويف، وتتماسك الفصوص(٢).

وتتبع طريقة الطلاء الواقي لبقاء الطبقة الذهبية للقطع الزجاجية ودوامِها لامعةً عن طريق طلاء كل مكعَّب مذهب بطبقة زجاجية رقيقة رقَّةَ الطبقات الزجاجية التي تكون فوق المستحضرات المكروسكوبية في المختبرات (٣).

---

(١) غوستاف لوبون: المرجع السّابق، ص٥٣٤ ،٥٣٥.

(٢) حسن الباشا: المرجع السّابق، ص١٠٩.

(٣) غوستاف لوبون: المرجع السّابق، ص٥٣٥ .

كانت دمشق مركزًا واسعًا لصناعة الفسيفساء، وقد رُسمت أحيانًا صور زهور مألوفة، وتستعمل لتزويق الأبنية والجدران من الداخل والخارج، وأبرز ألوانه: الأزرق النيلي، الأزرق الفيروزى، الأخضر، الأحمر، الأصفر(١)، كما زُين المسجد الجامع في عهد الوليد بن عبد الملك القبة العظمى وزينها بالفسيفساء(٢).

ومن أهم أمثلة الفسيفساء ما اكتشف في قصر هشام بفلسطين، وقد وصلتنا صور بالفسيفساء تزخرف حمامًا ملحق بالقصر به رسوم بطابع زخرفي من حيث التوزيع العام، وأسلوب رسم الأغصان والأزهار والحيوانات، ويتضح البراعة في التعبير عن الحركة في تزيين مقاعد ديوان مجلس الخليفة، وأرضه بالفسيفساء برسوم تحمل صورة شجرة البرتقال تحمل الثمر ويحيط بها ثلاثة غزلان قد سطا على أحدها أسد يفترسه، وهذه الرسوم شبيهة برسوم الأشجار في قبة الصخرة والجامع الأموي(٣).

وفي الحمامات الشامية كانت الدرجات تزين بالصور بدلًا من البلاط المختلف الألوان، وهذه العادة ترجع إلى العصر الأخير من الحضارة اليونانية، كانت الحمامات تحتوى على مخادع كثيرة مفروشة بالفسيفساء، وقد طلي نصف حائطها مما يلي الأرض بالقار، وطلي النصف الآخر الأعلى بالجص الأبيض الناصع، وهي مبنية حول ردهة واسعة عليها قبة فيها نوافذ زجاجية صغيرة مستديرة للنور(٤) .

---

(١) السيوطي:(جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٨٤٩-٩١١ه): تاريخ الخلفاء، ط٢، دار المنهاج ، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣ م .، ص٩٩؛ فيليب حتى وآخرون: المرجع السّابق، ، ج٢ ، ص٤٢٥.

(٢) فليب حتى: المرجع السّابق ، ص٣٣٦ .

(٣) سعاد ماهر: المرجع السّابق، ، ص٢١٨، ٢١٩.؛ فيليب حتى وآخرون: المرجع السّابق، ص٣٣٩، ٣٤١.

(٤) فيليب حتى وآخرون: المرجع السّابق،ص ٤١٥ .

وكان المسلمون يُصَوِّرون العنقاء في الحمامات، وهي: حيوانٌ خياليٌ عند الشرقيين[١]، ولكن التصاوير الجدرانية أقل بكثير مما عُثر عليه من تصاوير المخطوطات؛ بسبب عدم التصوير في المساجد وغيرها من العمائر الدينية، واقتصر على العمائر الدنيوية، والكثير منها تَعَرَّضَ للخراب والتدمير، والآخر بقي بعيدًا عن الأنظار؛ لبعدها عن الأماكن المأهولة مثل: القصور الأموية؛ لتغطيتها بالتراب والأنقاض؛ أو لكونها في الصحراء؛ أو بسبب بعض المتزمتين الذين تأثروا بما شاع من تحريم الإسلام للتصوير، فلجأوا إلى تغطيتها بطبقة من البلاط مما ساعد على صيانتها، وترجع صور الجدران إلى أواخر القرن الأول الهجري، واستخدم المسلمون الألوان المائية في تزيين الجدران [٢].

والفسيفساء المستعملة في قبة الصخرة كانت من عمل صُنَّاعٍ سوريين وبيزنطيين مع أجناسٍ مختلفة، وهذا يُفَسِّرُ بعض العناصر الساسانية في هذه الزخارف، ولكن هذا التفسير ليس أكيدًا، لأن اشتراك عمال إيرانيين ليس لازمًا لتفسير موضوعات زخرفية ساسانية، لأن معظم هذه الموضوعات انتقل إلى الشام، وأقبل الصناع السوريين على استعماله[٣]، وكانت تكسو أرضية مبنى القبة ورقبتها من الداخل والخارج بالفسيفساء، إلا أنه لم يبقَ منها شيئًا في الخارج، واستعملت موضوعات زخرفية نباتية وحلزونية وزخارف ساسانية مجنحة ورسوم الفاكهة وباقات الزهور والأكانتس والجواهر والحلي والأهلة والنجوم، مقتبسة من الفن الروماني والساساني[٤].

---

(١) آدم متيز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادى أبوريدة، ج٢، ص١٦١، ١٦٢.

(٢) سعاد ماهر: المرجع السّابق ، ص٢١٥، ٢١٦.

(٣) سعاد ماهر: المرجع السابق ، ص٢١٧.

(٤)المرجع السابق، ص٢١٦، ٢١٧.

واستعملت في الجامع الأموي زخارف رسوم العمائر، والمناظر الطبيعيـــة، وصور الآداميين، ومن المحتمل أن يكون صناع الفسيفساء نقلوا موضوعاتهم مـــن نماذج قديمة، وتسببت الحرائق في ضياع أغلبها، واكتشف دي لورين أجزاءً عظيمة كانت مغطاة بالبلاط، أهمها ما يقع على مقربة من المدخل الرئيسي للجامع، ورســـم في مقدمة المنظر أشجار ضخمة تطل على منظرٍ طبيعيٍ به رسوم عمائر بين أشجار وغابات، وملعب خيل، وقصور وبناء مربع الشكل له طراز صـــيني فـــوق النهـــر المذكور قنطرة تشبه قنطرة نهر بردي بدمشق، مما يمكن القول معه إن هذه الرسوم مناظر مدينة دمشق نفسها[١].

(١) نفسه، ص٢١٧، ٢١٨.

الخاتمـــــــــة

وأخيرًا في نهاية البحث توصلت لعدةِ نتائجٍ من أهمها:

تعددت صُوَّرُ الصناعة في بلاد الشام، ومن أهم الصناعات التي قامت في بلاد الشام في هذه الفترة: صناعة الزجاج والفسيفساء والخزف .

ولقد ازدهرت مراكز صناعة الخزف والزجاج في سوريا على يد المسلمين الذين قاموا باستعمالها بكثرة في صنع الأواني، والتي استعاضوا بها عن صنع الأواني المصنوعة من الذهب والفضة، ونظرًا لتحريم الدين الإسلامي استعمالهما في صنع الأواني، والبريق المعدني أضفى على الأواني الخزفية والزجاجية بريقًا وجمالًا، لتبدو من الخارج كأنها مطلية بالذهب أو الفضة.

تنوع الخزف من حيث الأشكال وطرق الصنع وابتكار ألون جديدة ومختلفة من الأكاسيد ساهم في انتشار الخزف، واستعماله بكثرة؛ لسد احتياج المجتمع من الأواني وغيرها .

أما بالنسبة للفن الإسلامى في الزخرف والذي تزينت به المساجد، لقد بنيت المساجد في كل مدينة دخلها المسلمون من أجل الصلاة، ونشر الدين الإسلامي من خلال المساجد؛ لذا اهتموا ببنائها، وكان مسجد النبى صلى الله عليه وسلم هو الأساس الذب قامت عليه المساجد في العصور الإسلامية الأولى، ولكن مع إدخال مظاهر الترف والتطور مثل: استعمال الفسيفساء في تزيين الجدران والأرضية مما أكسب مساجدهم جمالًا، ومازالت بعضها باقية حتى اليوم مثل: المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والمسجد الأموي بدمشق. ولم يكتفوا ببناء المساجد، بل قاموا ببناء القصور، ومازالت بعض من الزخارف باقية على جدرانها مما يدل على إتقان المسلمين في بنائه، وأدخل المسلمون الكثير من الابتكارات في صناعة الزجاج والخزف من خلال الزخارف المتنوعة في الأشكال والألوان.

خريطة بلاد الشام

ملحق (١)

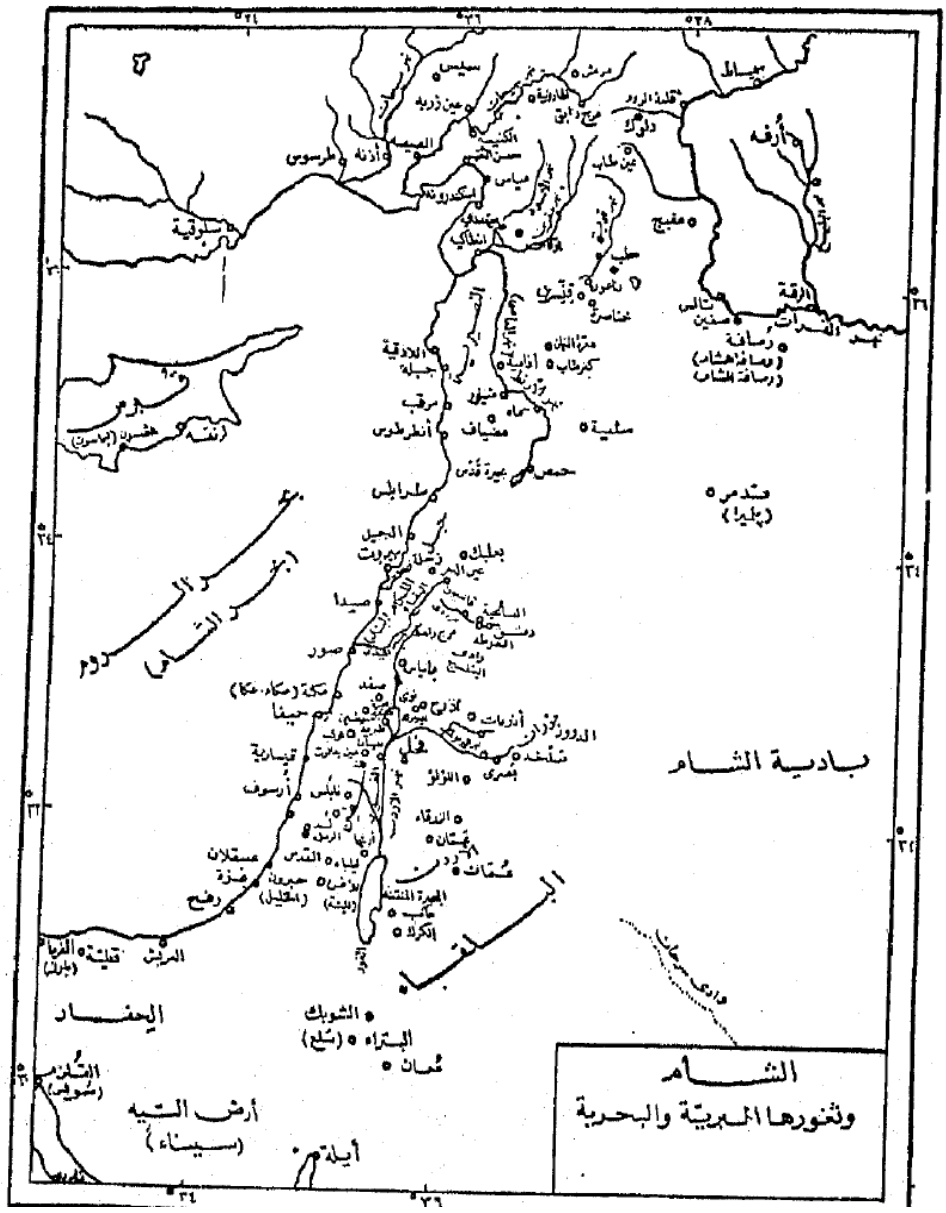

نقلاً عن نجدت خماش : الشام في صدر الإسلام ، ص٤٢٩ .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- القرآن الكريم

ثانيًا- قائمة المصادر:

١- الإدريسي (عاش خلال القرن السادس الهجري): أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، القاهرة، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

٢- الثعالبي (زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلى الدمشقي ٧٣٦ -٧٩٥ هـ) : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، تحقيق: عامر بن على ياسين ، دار بن خزيمة، الرياض، ١٤٢٨ ه /٢٠٠٧ م .

٣- الحميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ت ٨٦٦ ه): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٤- أبو الخير الأشبيلي (القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي): عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق: محمد العربي الخطابي، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥ م .

٥- السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩-٩١١ه): تاريخ الخلفاء، ط٢، دار المنهاج ، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣ م .

٦- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ممالك الشرق الإسلامي والترك ومصر والشام والحجاز، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ،ج٣ ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١ م .

٧- الغزي (كامل بن حسين بن مصطفى الحلبي): نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، ١٣٤٥ هـ /١٩٢٦ م .

٨- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

٩- القزويني(زكريا بن محمد بن محمود القزويني) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (بدون) .
١٠- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، مطبعة ليدن ، ١٩٠٦ م .
١١- المطرزي (أبي الفتح ناصر الدين المطرزي ت ٥٣٨ هـــ / ٦١٠ م): المغرب في ترتيب المعرب ، ج١ ، تحقيق: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، سوريا، مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩ م .
١٢- ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان، مج٥، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م.

ثالثًا- قائمة المراجع:

١- إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، دار الشركة العالمية للكتاب، الكتاب العالمي، بيروت ، ١٩٨٩ م .
٢- أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصرالأموي دراسة سياسية، اجتماعية ، إقتصادية ، فكرية ، عسكرية ، دار دمشق ، ط٣ ، ١٩٩٤ م
٣- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي أبو ريدة، ج٢ ، القاهرة.١٩٤١م.
٤- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٢ ، ط١٤. العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب والأندلس(١٣٢- ٢٣٢ هـ/ ٧٤٩ – ٨٤٧ م) ، دار الجبل (بيروت)، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .
٥- حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ١ ، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩ م .
٦- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
٧- السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
٨- سعاد ماهر محمد: الفنون الإسلامية، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٦ م .

٩- أبوصالح الألفي: الفن الإسلامي(أصوله، فلسفته،مدارسه)، دار المعارف، ١٩٩٨ م .
١٠- عبدالخالق علي عبد الخالق الشيخة: دور الخزافين في نقل الأساليب الفنية في مجال الخزف بين الأقاليم الإسلامية من العصر العباسي وحتى عصر الأسرة العلوية في مصر(١٣٢-١٣٧١ هـ/ ٧٥٠- ١٩٥٢ م)، مجلة مركز الدراسات البردية (BCPS)، كلية الآثار، جامعة عين شمس، مج٤٠ ، ٢٠٢٣ م .
١١- عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، أوراق شرقية، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٢- عبد الحميد العبادي، مصطفى زيادة، إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها.
١٣- عبدالعزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى ، ١٩٧٠ م ،(بدون) .
١٤- علي أحمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصريين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠١٣ م .
١٥- عصام الدين عبد الرءوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٤١٧ ه / ١٩٩٧ م .
١٦- ـــــــــــ: الحواضر الإسلامية الكبرى، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٧- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣م .
١٨- فواز زحلف جزاع الديلمي: الصناعة والحرف في بلاد الشام، مجلة جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع٤٣ ، ٢٠١٢ م .
١٩- فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب، ج٢ ، دار الكشاف ، ١٩٥٠ م .
٢٠- م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

٢١- محمد فتحي الشاعر:الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢٢ – محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة أسعد، بغداد ، ١٩٦٥ م .

٢٣- محمد كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٣ م .

٢٤- محمود إبراهيم حسين: الخزف الإسلامي في الأردن، دار الثقافة العربية، ١٩٨٨م .

٢٥ – نجدت خماش : الشام في صدر الإسلام ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٧ .

٢٦- نورة عبدالرحمن عيسى ،عصام عبدالهادى عقلة : الصناعة في بلاد الشام من خلال كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى (٧٤٩ ه/ ١٣٤٨)، مجلة المؤرخ المصرى ، عدد يوليو ٢٠٢٣ م ، العدد الثالث والستون .

رابعًا- الرسائل العلمية:

١ – ثريا حافظ عرفه: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٩٨٩ م .

٢- زينب طاهر ساق الله: في الإنصاف بين المشرق والمغرب قطعة من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (٧٠٠- ٧٤٩ ه/١١٣٠- ١٣٤٩م)، ماجستير، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٨٦ م .

خامسًا- المراجع الأجنبية

1-The New Encyclopaedia Britannica, Chicago University, Vol (22).

2- Bloom, J., & Blair, S: Grove Encyclopedia of Islamic Art & Architecture: Oxford University Press, (2009).